



"The Al-Aqsa Flood" in Contemporary Algerian Poetry: A Cry Against Oppression and an Anthem of Freedom



A Study of Selected Works

Received: 08/04/2025; Accepted: 29/10/2025

Rabah DIAB*

University Mohamed Lamine Debaghine Setif 2 (Algeria)
Laboratory of translation and comparative studies in arts and literature

الكلمات المفتاحية:

طوفان الأقصى؛
شعر جزائري؛
معاصر؛
التزام؛
حرية.

طوفان الأقصى في الشعر الجزائري المعاصر صرخة ضد الظلم وأنشودة للحرية قراءة في نماذج مختارة

ملخص

يُمثل طوفان الأقصى في الشعر الجزائري المعاصر امتدادا طبيعيا لمسيرة طويلة و مشرقة خطها شعراء جزائريون منذ ظهور القضية الفلسطينية في عشرينيات القرن الماضي، مسيرة بدأها جيل الرواد: أحمد سحنون، محمد العيد آل خليفة، ومفدي زكريا... وواصلها بكل صدق وأمانة جيل الألفية الثالثة من أمثال صلاح الدين باوية وإبراهيم قارعلي وعبد الملك بومنجل و بوزيد بن دريس... الذين جاءت قصائدهم ترجمة لما يجري في فلسطين عامة، وفي غزة على وجه الخصوص، ذات رمزية قوية متجددة في الدفاع عن فلسطين، راسمة صورة مشرقة لأبطال المقاومة الذين قدّموا للعالم دروسا في التشبث بالأرض رغم الظلم و القهر الذي يتعرض له الإنسان الفلسطيني بإيعاز من قوى الشر التي تدعم هذا الكيان الغاصب.

Abstract

"The Al-Aqsa Flood" in contemporary Algerian poetry extends a rich literary tradition rooted in the Palestinian cause since the 1920s. From pioneers like Ahmed Sahnoun and Moufidi Zakaria to modern poets such as Salah Eddine Bawiya and Bouzid Ben Driss, Algerian poetry remains a powerful voice against oppression. These works capture the resilience of the Palestinian people, particularly in Gaza, and celebrate their steadfastness in the face of tyranny. Through evocative imagery and profound symbolism, Algerian poets transform their verses into a cry for justice and an anthem of freedom, reaffirming unwavering solidarity with Palestine.

Keywords:

The Al-Aqsa Flood;
Algerian Poetry;
Contemporary;
Commitment;
Freedom.

* Corresponding author, e-mail: r.diab@univ-setif2.dz

Doi:

I - مقدمة

إذا كان الأدب تعبيراً عن الحياة وكشفاً لها وتأثراً بواقعها المتميز وتأثيراً فيه، فإنّ الأديب في هذه الحال إنسان دائم الانفعال والتوتر وكثير المراجعة والتدقيق والتحقيق، يحاول باستمرار أن يتجدد ويستكشف ويتطور وصولاً إلى الواقع الأفضل والرؤية الصحيحة من خلال الالتزام بالمشاركة الواعية في القضايا الإنسانية الكبرى، بكل صراحة وإخلاص ووضوح وإطلاع واستعداد من الملتزم ذاته، ومن هذه المنطلق كانت القضية الفلسطينية منذ ظهورها في عشرينيات القرن الماضي محورا رئيسا في الوجدان الجزائري لكونها ترتبط بمناهضة الظلم والتحرر من الاستعمار الذي عانى منه الجزائريون مدة قرن وثلاثين سنة، فهم يرون فيها امتدادا لنضالهم ضدّ الاحتلال الفرنسي؛ هذه الخصوصية جعلتها موضوعا بارزا في الشعر الجزائري، إذ قلما نجد شاعرا جزائريا يخلو ديوانه من قصيدة فيها تصوير لمآسي الشعب الفلسطيني الذي تجاذبت قضيتّه مصالح إقليمية ودولية.

لقد رافق الشعر الجزائري القضية الفلسطينية في كل مراحلها التاريخية منذ صدور وعد بلفور المشؤوم عام 1917م، ثم انتفاضة الفلسطينيين في ثلاثينيات القرن الماضي ورفض قرار التقسيم، مروراً بحرب 1948م و نكسة 1967م وانتفاضة الحجارة عام 1987م، وصولاً إلى طوفان الأقصى الذي شكل نقطة تحوّل في تاريخ الصراع الفلسطيني الإسرائيلي.

من هذه الفكرة تأتي إشكالية هذا المقال المتمثلة في " طوفان الأقصى في الشعر الجزائري المعاصر صرخة ضدّ

الظلم وأنشودة للحرية" و تتفرع عنها بعض التساؤلات أهمّها:

- ما مظاهر تفاعل الشاعر الجزائري المعاصر مع حادثة طوفان الأقصى؟
 - كيف جسّد الشعراء الجزائريون أبعاد المقاومة والصمود من خلال رؤية فنية تجمع بين الالتزام بالقضية الفلسطينية عبر مراحلها المختلفة والإبداع الأدبي، وكيف ساهموا في توثيق رمزية طوفان الأقصى كحدث تاريخي وإنساني؟
 - ما هي الأبعاد الإنسانية والسياسية التي يعبر عنها الشعراء الجزائريون من خلال تناولهم لطوفان الأقصى؟
 - إلى أي مدى يربط الشعراء الجزائريون بين نضال الجزائر التاريخي والقضية الفلسطينية؟
- للإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها اعتمدت الوصف و التحليل للوقوف على تيمة الطوفان في الشعر الجزائري المعاصر من خلال نماذج مختارة.

II - الشعر الجزائري والقضية الفلسطينية:

كانت فلسطين و لازالت من أبرز القضايا التي سجلت حضورا بارزا في الشعر الجزائري لما تمثله بأبعادها التاريخية والدينية والقومية من قيمة سامية في الوجدان الجزائري، و من منطلق أنّ الأدب شكل من أشكال الوعي، فإنّ "العلاقة بينه وبين العوامل التي أنتجت علاقة عضوية إلى حد يمكن التأكيد معه أنّه لا يوجد أدب بدون خلفية قادرة على تكثيف الوعي البشري و تحويله إلى قيمة معرفية متميزة عن غيرها من القيم التي تختلف معه في الشكل، و أنّه لا يمكن فهم الأدب و تفسيره تفسيراً صحيحاً خارج هذه العوامل التي شكلته في صورة إدراك قبل أن يصير أدباً"¹.

و على الرغم من أنّ الشعر الجزائري وُلد و ترعرع في ظل المعاناة من الاستعمار الفرنسي الغاشم إلا أنّ ذلك لم يمنعه من التعبير عن القضايا القومية والإنسانية العادلة، وفضح أساليب الاستعمار أينما كان " فالحس التاريخي هو الذي فرض عليه هذه الرؤية، وأنّ الضغط الاستعماري جعل الشاعر يرى رؤية شاملة للتحرر، فالوطن لا يتحرّر إلا إذا رجع إلى أصلاته و انتسب إلى قومه، ولا يتمّ له ذلك إلا بالرجوع إلى القومية العربية ... وقد استمرت هذه النظرة في الشعر الجزائري الحديث حتى اليوم² ، فظلت القومية العربية سمة بارزة "على كل بيت في كل قصيدة"³، ورغم الأوضاع المأساوية المفروضة على الشعب الجزائري من طرف الغزاة الفرنسيين، والتي لم تنتهم عن الوقوف إلى جانب إخوانهم الفلسطينيين في محنتهم، فهذا محمد العيد آل خليفة يبدي استيائه من قرار التقسيم في قصيدة نُشرت في جريدة البصائر عام 1937م:

يا قِسْمَةَ الْفُؤَسِ انت ضِيْرَى	لَمْ يَعْدِلْ الْقَاسِمُونَ فِيكَ
مَضُوا عَلَى الْحَيْفِ لَمْ يُبَالُوا	بِمَا جَرَى مِنْ دَمِ سَفْيِكَ
الْقُدْسُ لِلْعَرَبِ مِنْ زَمَانٍ	لَنْ يَقْبَلُوا فِيهِ مِنْ شَرِيكِ

قَدْ سَامَهُ الْأَجْنَبِيُّ حَسْفاً وَهَذَا مِنْ رُكْنِهِ السَّمِيكَ
(يا) لُنْذُرًا) لَوْ دَرَى بَنُونَا لَمْ يَأْمَنُوا الْعَدَرَ مِنْ بَنِيكَ⁴

هذا الموقف الرفض والمندد بقرار هيئة الأمم المتحدة نجده عند معظم شعراء الجزائر في تلك الفترة التاريخية الحساسة، من أمثال عبد الكريم العقون، محمد الصالح خيشاش، الربيع بوشامة وأحمد سحنون، هذا الأخير نظم قصيدة في هذا القرار الجائر، مستنهضا الهمم العربية لنصرة فلسطين قائلا:

أَمْوَاطِي أَقْدَامِ النَّبِيِّينَ وَالرُّسُلِ وَمَوْطِنِ نَسْلِ الْوَحْيِ بوركٍ مِنْ نَسْلِ
فَدَاكَ الْعَدَا لَا تَقْبَلِي قِسْمَةَ الْعَدَا وَلِلْمَوْتِ سِيرِي لَا تَبْيِيتِي عَلَى دَخَلِ
وَلَا تَحْفَلِي بِالنَّاسِ إِنْ جَارَ حَكْمَهُمْ عَلَيْكَ فَإِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بِالْعَدْلِ
وَخَلَقَكَ جَيْشٌ مِنْ بَنِي الْعِلْمِ رَابِضٌ لِيُبْعِدَ عَنْ أَرْضِ الْهُدَى عَابِدِي الْعَجَلِ
يَدْرِبُهُ رَمْزُ الْفَدَى بَطْلُ الْحِمَى ذِكْرِي الْحَجِي مَاضِي الْعَزِيمَةِ كَالنَّصْلِ
حَوَى مِنْ حِمَاةِ الضَّادِ كُلِّ مَخَاطِرِ وَمِنْ قَادَةِ الْإِسْلَامِ كُلِّ فَتَى فَحْلِ
جُنُودٌ لَهَا الْإِيمَانُ وَالصَّبْرُ عَدَّةٌ لَدَى الْحَرْبِ لَيْسُوا بِالضَّعَافِ وَلَا الْغُرْلِ⁵

يعلن الشاعران من خلال هذه الأبيات المختارة بصور قوية تعبر عن الألم والغضب أنّ قرار التقسيم الجائر كان حدثا مفصليا في تاريخ الأمة العربية لما خلفه من أثر عميق في الوجدان، و أنّه رمز للظلم والاستعمار، إلى جانب الدعوة للوحدة العربية كوسيلة لمواجهة هذا الظلم.

و مع بداية الحروب العربية الإسرائيلية 1948م عمد الشعراء الجزائريون إلى استنهاض الهمم العربية لأجل استرجاع فلسطين المسلوبة، وهو الموقف الذي عبّر عنه محمد العيد آل خليفة في قصيدة له بعنوان " فلسطين العزيرة":

فَلَسْتُ بِنُ الْعَزِيرَةِ لَا تُرَاعِي فَعَيْنُ اللَّهِ رَاصِدَةٌ تُرَاعِي
وَحَوْلُكَ مِنْ بَنِي عَدْنَانَ جُنْدٌ كَثِيرُ الْعَدِ يَزَارُ كَالسَّبَاعِ
إِذَا اسْتَصْرَحَتْهُ لِلْحَرْبِ لَبَّى وَخَفَّ إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ الْبَقَاعِ
يَجُودُ بِكُلِّ مُرْتَخَصٍ وَغَالِي لِيَدْفَعَ عَنْكَ غَارَاتِ الضَّبَاعِ
بُلَيْتَ بِهِمْ صَهَائِنَةَ جِيَاعًا فَسُحْقًا لِلصَّهَائِنَةِ الْجِيَاعِ
سَتَكْشِفُ عَنْهُمْ الْهَيْجَاءَ سِتْرًا وَتَرْمِيهِمْ بِكُلِّ فَتَى شُجَاعِ
فَلَسْتُ بِنُ الْعَزِيرَةِ لَا تَخَافِي فَإِنَّ الْعَرَبَ هَبُوا لِلدِّفَاعِ
بِجَيْشٍ مُظْلَمٍ كَاللَّيْلِ غَطَى حِيَالِكَ كُلِّ سَهْلٍ أَوْ يَفَاعِ⁶

وفي قصيدة أخرى يخاطب الشاعر المحتل أنّ القدس لأهله متوعدا إياه بالثأر، خاصة عندما تدخلت بريطانيا والولايات المتحدة سياسيا واقتصاديا وحتى الدعم العسكري غير المباشر، و رُجِّحت الكفة لصالح الغاصبين، وكانت النكبة الأولى، بانتصار إسرائيل وتوسيع حدودها أكثر مما حددته الأمم المتحدة في قرار التقسيم:

قُلْ لَابْنِ صَهْيُونَ اغْتَرَزْتَ فَلَا تُجْزِ إِنَّ ابْنَ يَعْزُبٍ نَاهِضٌ لِلشَّارِ
أَعْرَضْتَ عَنْ خَطِّ السَّلَامِ مَوْلِيَا فَوَقَعْتَ مِنْهَا فِي خُطُوطِ النَّارِ

لا تحسبن بأنَّ صبحك طالغ فالبدرُ ويحك خادعٌ للساري
سترى أمانيك التي شيدتها منهاراً مع ركنك المنهار
القدس لابن القدس لا لمشرّد مُتصهين ومهاجرٍ غداً ر⁷

ومع اندلاع الثورة التحريرية وما صاحبها من سياسات إجرامية مارسها فرنسا على الجزائريين، إلا أنَّ هذه المعاناة لم تُنس شعراءنا قضيتهم الثانية فلسطين، فتواصل العطاء الشعري نصرة لهذه القضية العادلة، واضطلع بذلك شعراء كثيرون نذكر منهم من باب التمثيل شاعر الثورة مفدي زكريا الذي يقول في قصيدة "فلسطين على الصليب":

أناديك في الصرصر العاتية وبين قواصفها الذارية
وأدعوك بين أزيز الوغى وبين جماجمها الجاثية
وأذكر جرحك في حربنا وفي ثورة المغرب القانية
فلسطين يا مهبط الأنبياء ويا قبلة العرب الثائرة
ويا حجة الله في أرضه ويا هبة الأزل السامية
ويا قدساً، باعاً آدم كما باع جنّته العاليه
فلسطين، والعرب في سكرة قد انحدروا بك للهالوية
رماك الزمان بكُلّ لنيم زنيم، من الفنة الباغية⁸

وهكذا، كان الشعر الجزائري خلال حرب التحرير صوتاً للحرية ليس فقط للجزائريين، بل لكل الشعوب التي تكافح ضد الاحتلال والظلم، وعلى رأسها فلسطين، التي اعتبروها امتداداً لنضالهم ضد الظلم والاحتلال، فكما كانت الجزائر تعاني من القهر الاستعماري، كانت فلسطين تواجه الاحتلال الإسرائيلي، مما جعل الشعراء الجزائريين يرون في القضيتين وجهين لنفس المعاناة القومية.

وتتواصل بعد الاستقلال مسيرة الشعر الجزائري وعلى نفس الخط؛ نصرة لفلسطين و مسابرة لكل المحطات التاريخية التي عرفتھا القضية الفلسطينية، مسيرة حمل مشعلها جيل آخر من الشعراء بقي وفيما لما رسمه السلف، خاصة وأنَّ القضية الفلسطينية مع مطلع الألفية الثالثة تنكّر لها الكثير من بني جلدتها (العرب) فعمّ التخاذل من خلال هرولة الكثير منهم إلى التطبيع مع الكيان المعتصب، وفي هذا الموضوع يقول صلاح الدين بلوية*:

هل نحن حقاً في الخيانة أمةً وهبت إلى الأعداء ما لا يخطر؟
سارت إلى التطبيع تُنكر أصلها إنَّ اللّيم لأصله يتنكّر
أين الشهامة والبطولة والفدى؟ أين الرجولة أينها يا معشر؟
أين الفتوحات الأوائل أين من دانت لهم بعد الصّحارى الأبحر؟⁹

لقد عبر الشاعر من خلال هذه الأبيات التي حملت مشاعر الغضب والإدانة عن رفضه القاطع لهذه الظاهرة، معتبراً ما قامت به بعض الدول العربية فقداناً للكرامة والهوية، فهو ليس مجرد خطوة سياسية كم يدّعي بعضهم؛ بل هو خيانة أخلاقية و وجدانية تمسّ صميم القضية الفلسطينية المركز في الوعي العربي، و تقلل من تضحيات الأجيال التي ناضلت من أجل تحرير فلسطين.

III - طوفان الأقصى في الشعر الجزائري المعاصر:

مع اندلاع طوفان الأقصى يوم السبت السابع أكتوبر من سنة 2023 م رافق الشاعر الجزائري الحدث، فهذا عبد الملك بومنجل* وفي اليوم ذاته نظم قصيدة بعنوان "المنعرج" مباركا هذا اليوم الذي يُعدّ منعرجا حاسما في مسار النضال الفلسطيني، إذ أعاد القضية الفلسطينية إلى الواجهة بطريقة غير مسبقة، بعد مخططات الواد التي تكاثفت فيها جهود الكثيرين من القريب و البعيد، طوفان أدير بكفاءة عالية وتخطيط محكم كشف عجز الكيان وبؤس خططه وسوء تقديراته وتصرفاته كما أنّه كسر أسطورة الجيش الذي لا يقهر، خاصة وأنه تزامن مع مشاريع إقليمية ودولية تستهدف تصفية هذه القضية العادلة وإقامة شرق أوسط جديد كما تهوى أنفسهم ويتمنون:

لغد سيلوح به الفرَجْ	طوفان الأقصى مُنْعَرَجْ
نسمات العزّة والأرجْ	خرج الأبطال وفي دمهمْ
لعيون الأقصى ما سرّجوا	سرّجوا بالعزّ خيولهمْ
أرايت القوم وقد خرجوا	ورموا بالذلّ عدوّهمْ
أنفاسُ الذلّة، والحرَجْ؟	من تلك الأرض وفي دمهمْ
ويردّد: هذا منعرجْ!	خرجوا والفجر يباركهمْ
أعلى، وإلى العليا درجوا	عرجوا بالحلم إلى أفقْ
ما مدّوا الخطو وما انعرجوا	يا ربّ تَوَلَّ عُرُوجَهمْ
أرضا باركت لها أرجْ	وأتمّ النصر لمن نصروا
ودم الأحرار لنا فرَجْ ¹⁰	درب الإقدام لنا قَدَرْ

يقرّ الشاعر مع أوّل بيت من قصيدته هذه عبر معجم لغوي محمّل بكل معاني الاعتزاز والتفاؤل بغد فلسطيني يسوده الأمن و الاستقرار (منعرج، الفرج، العزّة، الفجر، الحلم، النصر، الإقدام...) أنّ عملية طوفان الأقصى لم تكن مجرد حدث عسكري، بل كانت لحظة تاريخية أعادت تشكيل الخطاب العربي حول قضيته الأم، وخلقت تحولات سياسية وعسكرية وإعلامية كبرى بعد سنوات من التهميش الإقليمي والدولي، كما أظهرت العملية أن المقاومة باعتبارها سبيل الحرية؛ ليست مجرد مواجهة عسكرية، بل هي فكرة ووعي يتوارثه الأجيال، تأثيرها سيظل حاضرا في الوجدان العربي والإنساني كرمز للصمود والإصرار على نيل الحقوق.

و كان التخطيط لأكبر زلزال في تاريخ المحتلين من تدبير عقول فلسطينية تهوى قضيتها التي لا تموت بالتقادم، منهم محمد الضيف و يحيى السنوار، و فيهما يقول الشاعر بوزيد بن دريس* مُخلدا دورهما في المقاومة من خلال لغة شعرية تجمع بين الرمزية والالتزام:

الليث يُعرف أنّه خطّارْ	مَآذَا أَقُولُ وَ عِدْلُهُ " السِّنْوَارْ"
عَلَمٌ وَ أَغْلَبَ مَا تَكَلَّ نُبُوبُهُ	عِنْدَ النَّزَالِ ، وَ بَاسِلٌ مِغْوَارْ
وَ "الضَيْفُ" وَالْأَحْرَارُ مِنْ إِخْوَانِهِ	بَذَلُوا الدِّمَاءَ فَسَيَلَّهَا هَذَارْ
مَا مِنْهُمْ إِلَّا كَمِيَّ جَارِحْ	حَتَفَ الْعُدَاةَ وَ مِدْرَةَ أَسْوَارْ
هَلْ عِنْدَهُمْ عِنْدَ الْإِلَهِ سَرِيرَةٌ	تَخْفَى عَلَيْنَا أَمْ هُنَاكَ سِتَارْ ¹¹

لقد صَوَّرَ الشاعر القائدين البارزين في المقاومة الفلسطينية محمد الضيف ويحيى السنوار رغم سنوات السجن الطوال ومحاولات الاغتيال المتكررة على أُنهما من أيقونات الصمود والمقاومة ورمزين ملهمين في الشعر العربي المعاصر، لدورهما في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي فكل منهما يُجسد الأمل في التحرير والقدرة على مواجهة التحديات.

ومن بين الأسماء الجزائرية الأخرى التي تفاعلت مع بداية الطوفان الشاعرة عائشة جلاب* التي أنشدت قائلةً في قصيدتها "مَنْ يوقف الطوفان":

مَنْ يُوقِفُ الطَّوْفَانَ مَنْ ذَا يَقْدِرُ أَثْرَاهُ وَحَيٍّ مِنْ سَمَاءٍ يَسْطُرُ
تَنْتَالُ مِنْ مَسْرَى الرِّسُولِ مَلَانْكَ مِثْلَ الْأَبَابِيلِ الَّتِي لَا تُقْهَرُ¹²

و لم يتوقف الشاعر الجزائري عند بدايات الطوفان بل ظلَّ مُسائرا لما بعد السابع من أكتوبر وما شهدته غزة من إبادة لم تستثن كائنا فوق هذه الأرض الطاهرة، ففي قصيدة " نشيد الخلود" يكشف الشاعر يومنجل حقيقة المحتل الصهيوني و من والاه من العرب والعجم، وأنَّ جبروتهم لا تنقص من عزيمة المقاومين الذين يرون في الموت تقربا للأقصى و أنَّ أرواحهم ماثوا جنان الخلد:

نحن لا نُهدِرُ أرواحا سُدَى بل نَرْفُفُ الرُّوحَ للعليا شهادة
نحن لا نَرْهَبُ أسراب الرَّدَى تنفُثُ الحقد على وهم الإبادة
بل نُلَاقِيهَا وإن طال المَدَى خوضنا البأساء والهيجاء عادة
موثنا القدسي في ساحِ الفدا شرف، فخر، صلاة، وعبادة
نحن لا نحيا عبيدا أبدا نترقى، أو نعيش الدهر سادة
إن دعانا الوجد لبينا النِدا أو أراد المجدُ لبينا مُرادَه
والكفاح المُرّ يسري في الدِّمَا سريان العزم في قلب الإرادة¹³

إنَّ عقيدة المقاومة عند أهل غزة تحمل أبعادًا أكبر من مجرد مواجهة عسكرية، فهي مُكوِّن أساس في الهوية الثقافية والوجودية لهذا الشعب القوي في مواجهة التحديات، والذي أظهر قدرة استثنائية على تحويل المعاناة إلى قوة، مستمداً ذلك من التاريخ النضالي للأجيال السابقة وأحرار العالم عموماً، ومن اعتقادهم بأن التضحية جزء من طريق التحرير، شعارهم "إن سألوك عن غزة قل لهم بها شهيد، يسعفه شهيد، ويصوره شهيد، ويودعه شهيد، ويصلي عليه شهيد

و بالعودة إلى الشاعر صلاح الدين باوية، وبعد أن فضح حركة التطبيع والمطبعين ها هو يكتب في معركة غزّة مشيدا بأبطالها الذين لم تنهزم قلتهم ولا الدمار الذي حلَّ بأرضهم الطيبة عن مسيرة المقاومة حتى تحقيق النصر:

يَا قُدُسُ مَاذَا قَدْ أَخْطَأَ بِأَحْرِفِي هَرَبْتُ حُرُوفِي، وَالرُّؤَى تَتَعَدَّرُ
مَا الضَّادُ؟ مَا سِحْرُ الْقَصَائِدِ كُلِّهَا وَالنَّارُ أَفْصَحُ فِي الْحَدِيثِ وَأَطْهَرُ
إِنَّ الْحَدِيدَ عَنِ الْحَدِيثِ مُبْجَلٌ نِعَمَ الْحَدِيدُ بِأَرْضِ غَزَّةَ يَزَارُ
وِطْنٌ يَنَامُ عَلَى ضَحَايَا عَزَلٍ قَصَفٌ، وَإِرْهَابٌ، وَمُوتٌ أَحْمَرُ
يَا أَسَدَ غَزَّةَ قَاوُمُوا وَاسْتَبْشِرُوا فَاللَّهُ يَخْذُلُ مَنْ يَشَاءُ وَيَنْصُرُ¹⁴

والشعور نفسه نجده عند ابن قسنطينة الشاعر محمد شايطة*:

من غزّة أرض الأحرار من قدس الثورة والنّار

ورايات الحق بها سطعت
وشدّت للراية أشعاري
وتجلى الصبح لهمتنا
فتغنى الكون بأفكاري
من طفل غابث بسمته
بقذائف حقد الأشرار
من دمعة أم قد سلبت
سيجيئ النصر كإعصار¹⁵

وإلى جانب الأسماء المذكورة فإن الشاعر "إبراهيم قارعلي" * يعدّ أحد أبرز مَنْ كتبوا عن الطوفان، ففي قصيدته "رقصة المبكى" يبارك الشاعر بداية معركة طوفان الأقصى بعد سنوات طوال عجاف لم تثمر فيها المفاوضات إلا عن مزيد من التنازلات

الله أكبر و الطوفان منهمر
الله أكبر نحمي بالدماء حمى¹⁶

كما يبدي الشاعر التزامه العميق بالقضية الفلسطينية، رافضا الاستسلام و مؤكدا أنّ المقاومة بأشكالها المختلفة و المتعددة هي السبيل الأوحـد لتحرير الأرض و العرض:

تَبَّتْ يَدَايَ إِذَا مَا أُمْسِكُ الْقَلَمَ
قَدْ جَفَّ حَبْرِي وَقَدْ صَارَ الْمِدَادُ دَمًا
وَيْلِي وَيَا وَيَلْتِي مِمَّا يَدِي كَتَبَتْ
بُنْسَ الْيَرَاغُ بِمَا قَدْ خَطَّ أَوْ رَسَمًا
مَا قِيَمَةُ الشَّعْرِ وَالْأَلْحَانِ نَعْرِفُهَا
مَا لَمْ يَكُنْ صَاعَهَا رَشَاتُنَا نَعْمًا
مَاذَا أَقُولُ لَكُمْ قَدْ خَانَنِي كَلِمٌ
بَلْ إِنِّي كَلِمٌ مَا أَعْظَمَ الْكَلِمَ
لَنْ نَرْفَعَ الرَّايَةَ الْبَيْضَاءَ يَا وَطَنِي
إِمَّا الشَّهَادَةُ إِمَّا النَّصْرُ قَدْ حُسِمَا
لَا لَمْ تَنْمُ غَزَّةٌ عَنْ شَارِنَا أَبَدًا
مَا إِنْ يَزَالُ شِهَابُ الْحَرْبِ مُضْطَرِمًا¹⁷

و عن تجاهل المجتمع الدولي لمعاناة الفلسطينيين الممتدة لعقود، (الحصار، الاستيطان، القصف، التهجير القسري، و آخرها الإبادة الجماعية) يقول الشاعر فاضحا التحيزات السياسية والمصالح الجيوسياسية للدول الكبرى الراعية لهذا الكيان الغاصب:

وَا غَزَّاتِهِ وَ أَيْنَ الْخُطْبُ مِنْ خُطْبِ
لَا يَا فِلِسْطِينُ لَا تَسْتَصْرِخِي الْأَمَمَا
مَا لِلْوَرَى الْمَجْمَعِ الدَّوْلِيِّ لَيْسَ يَرَى
صُمٌّ وَ بُكْمٌ وَ عُمَيَانٌ وَ أَيُّ عَمَى
لَا عَدْلٌ يُرْجَى مِنَ الدُّنْيَا بِمَحْكَمَةٍ
دَوْلِيَّةِ الْخُصْمِ فِيهَا أَصْبَحَ الْحَكَمَا
صَارَ الضَّحِيَّةَ جَلَادٌ وَ يَا عَجَبًا
بُنْسَ الَّذِي رَعَمُوا خَابَ الَّذِي حَكَمَا
لَوْ أَنْتِ نَادَيْتِ أَحْيَاءً لَقَدْ سَمِعُوا
يَا وَيَحْنَا إِنْ فِي آذَانِنَا صَمَمَا
جِنْتُمْ لَفِيْفًا فَأَهْلًا مَرْحَبًا بِكُمْ
فَجَرَّ يَلُوحُ وَ إِنْ لَيْلٌ يَطُولُ بِنَا¹⁸

ويشير الشاعر في هذه القصيدة كذلك إلى خيانة بعض الأنظمة العربية للقضية الفلسطينية إما بالتواطؤ المباشر أو عبر التمعاس عن اتّخاذ المواقف الحقيقية والفعالة، هذا الواقع المرير كان له الأثر الكبير في إطالة أمد المعاناة الفلسطينية.

وَيْلُ الْعُرُوبَةِ وَ أَدْلَاهُ مِنْ عَرَبٍ
إِنَّ الْخِيَانَةَ قَدْ صَارَتْ لَنَا شِيَمًا
عَادَتْ قُرَيْشٌ وَ عَادَتْ جَاهِلِيَّتُهَا
مَا بِأَلْهَا الْيَوْمَ صَارَتْ تَعْبُدُ الصَّمَمَا
عَلَى النِّفَاقِ هُمْ الْأَعْرَابُ قَدْ مَرَدُوا
فَلَا خَلَقَ لَهُمْ كَلًّا وَ لَا نِمَمًا

تَا اللَّهُ نُفْسِمُ كَمْ خُنْتُمْ قَضِيَّتَنَا بِاللَّهِ لَا تُفْسِمُوا كَمْ خُنْتُمْ الْقَسَمَ¹⁹

إنّ الحرب الإسرائيلية على غزة أقلّ ما توصّف به أنّها حرب شمولية لا تستثن أحدًا، محملة بكل أشكال العنف، عقاب وقصف جماعي للمدنيين والمستشفيات والبيوت والمساجد والكنائس، هذه الحرب الغبية كانت آثارها كارثية على الأطفال، فحسب هيئة الأمم المتحدة فقد قُتل إلى غاية شهر أفريل من السنة الجارية أكثر 17000 طفل، وأصيب الآلاف بجروح، ناهيك عن الصدمات النفسية والاضطرابات العقلية نتيجة مشاهد العنف والدمار المستمر، وتدمير التعليم وحرمان الأطفال من المستقبل، يقول إبراهيم قار علي:

طِفْلٌ تَطَارِدُهُ فِي الْمَهْدِ طَائِرَةٌ يَا وَيْلَهُ لَمْ يَزَلْ يَحْبُو وَ مَا فُطِمَا
يَا لِلْعِظَامِ بِلَا لَحْمٍ مُمَرَّقَةٍ لَمْ نَذِرْ أَوْ نَتَّبِعِنْ مِنْ يَدٍ قَدَمًا
رُحْمَاكَ رَبِّ بِنَا مَنْ ذَا سِوَاكَ لَنَا لَمْ يَرْحَمُوا رُضْعًا لَا الرُّثْعَ الْبُهِمَا
وَيْلُ التَّلَامِيذِ وَالْأَفْسَامِ قَدْ قُصِفَتْ مَا ذَنْبُهُ أَصْبَحَ التَّلْمِيذُ مَثَهُمَا²⁰

و لأنّ المواجه كبيرة على أهل غزّة دمار شامل خذلان مفضوح ... و هذا ما يقتضي الصمود أكثر من أي وقت مضى و التسلح بالصبر و الإيمان، فسبيل الحرية تضحيات و إرادة لا تكسر بها يُهزم الطغاة دوما، و في هذا أنشد بوزيد بن دريس مبرزا معاني التعاطف و المساندة، داعيا الفلسطينيين إلى عدم الاكتراث بما يجري في محيطهم العربي و الإسلامي:

يَا أَهْلَ غَزَّةَ حَسْبُكُمْ مِنْ نَاصِرٍ رَبِّ عَزِيزٌ قَاهِرٌ جَبَّارُ
قَدَّرَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونَ دِمَاؤُكُمْ مَحْوًا لِمَا قَدْ خَطَّهُ الْفَجَّارُ
"صُهِيُونَ" يَعْلَمُ أَنَّكُمْ جَدْتُمْ لَهُ قَلْدًا عَلَيْكُمْ بَطْشُهُ وَ النَّارُ
قَذَرُوا عِتَابَ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّهُمْ أَسْرَى الْهَوَانِ وَأَنْتُمْ الْأَخْرَارُ
لَا بُدَّ أَنْ يَفِي الرِّمَانُ بِوَعْدِهِ كَالْفَجْرِ يَرْحَفُ أَوْ هُوَ الْإِعْصَارُ²¹

و هو الشعور نفسه جسده عبد الملك بومنجل في قصيدته " لا تبك عينك "

لا تبك عينك أيها "الجبار" وإن استفاض دم وعمّ دمار
لا تبك عينك أنت نسل أرومة يعنو لصخرة بأسها الإعصار
أنت الذي علمت بحرك موجة وتعلّمت منك اللهب النار
وعلى يديك تعلمت أرض الفدا عند الوغى كيف الحروب تُدار
وقد اكتويت بنار من خذلوا الحمى ومن احتواهم في اللنام سعار
فوقفت وحدك ماردا ملأ الذنّى كبرا و صبرا و الدماء غزار²²

لقد أخطأ العدو ومن والاه ظلًا حين تصوّر أنّه بحربه القذرة هذه على غزة و قتله القادة سيُطفئ شمع الانعتاق و الإصرار على الحرية، فدماء هؤلاء لم تُدفن معهم، بل تحوّلت إلى شعلّة تضيء درب المقاومين، والتاريخ علّمنا أنّ الأمم الحية لا تُقتل برصاصة أو بسيف، فكلّ شهيد يسقط، يصبح بذرة لثورة جديدة، وكلّ قائد يُستشهد يتحوّل إلى رمز يرفع راية النضال أعلى، فالمقاومة فكرة لا تموت، لأنّها ليست أفرادا يُقتلون، بل إرث من القيم والمبادئ يتجدّد، يذهب رجال ويأتي رجال، لكنّ بذرتها تبقى دائما لا تموت حتى وإن قُتل القادة كلهم، فقتل الأجساد لا يقتل الإرادة، ومسيرة التحرير لا تتوقّف عند شخص، ولن تنكسر مهما طال الطريق، فالمقاومة التي تتغذى من دماء شهدائها لا يمكن أن تُقهر، وهذا ما عبّر عنه بوزيد بن دريس عند اغتيال إسماعيل هنية:

و بغوا و قالوا مستراخ	شتموا بموته في افتضاح
منهم - وإن لجوا- نباخ	خسئوا فليس يضيره منهم
فيهم و ما فيهم مباح	وهُم الدنيّة مُثْلَث
عُ الجهل صهباء و راح	لكنهم جهلوا و ما
مسكُ الحديث هنا و فاح	ربح البياع و صدق ال
في جنة نعم الرباخ	فاهنا" هنية" و انعمن
منحوه ما كان استماخ ²³	لم يقتلوه و إنما

صحيح أنّ القادة لهم دور فعال في تنظيم الصفوف ورفع المعنويات، لكن فقدانهم لا يعني أبدا نهاية الطريق، لأنّ المقاومة لا تعتمد على قائد بعينه، بل هي حركة ذات امتداد شعبي وعقائدي، متجذرة في وعي الشعب الفلسطيني وتاريخه، فمنذ النكبة إلى اليوم، ورغم الاغتيالات والاعتقالات، لم تتوقف المقاومة، بل تجددت بأشكال وأساليب مختلفة، أبرزها ظهور جيل جديد أكثر صلابة وإصراراً على الاستمرار أكثر من ذي قبل.

IV - الخاتمة:

إنّ تيمة "طوفان الأقصى" في الشعر الجزائري المعاصر ليس مجرد نصّ أدبيّ يعبر عن قضية فلسطين، بل هو صوتٌ ثائرٌ يعكس روح المقاومة والتضامن مع المظلومين عبر التاريخ، فقد نجح الشعراء الجزائريون من خلال دقّة تشابيه الصور وجرأة اللغة في تحويل المعاناة الفلسطينية إلى رمزٍ عالميٍّ للصمود، مُستحضرين ذاكرة الجزائر النضالية ومُوظفين تراثها الثوري لمواساة إخوانهم الفلسطينيين في مسيرتهم التحررية، ومن خلال تتبعي لهذا الموضوع عبر النماذج الشعرية المختارة توصلت إلى ما يلي:

- إنّ قضية فلسطين مقدسة ومتجذرة في وجدان الشعراء الجزائريين منذ بداياتها الأولى إلى يومنا هذا، فقد عاشوا أحداثها ووقائعها الأليمة، وانتشوا بأمال الحرية والعودة الموعودة، إذ لا توجد قضية واحدة من القضايا العربية والإسلامية الراهنة تناولها الشاعر الجزائري إلى جانب قضايا الوطنية بالقدر الذي تناول به القضية الفلسطينية، ذلك لأنّها من القضايا التي تسيطر على شعوره و تنبؤاً مركز الصدارة ضمن اهتماماته القومية المتعددة، مما جعلها جزءاً لا يتجزأ من الهوية الأدبية الجزائرية.

- إنّ موضوع طوفان الأقصى في الشعر الجزائري المعاصر يعكس عمق الالتزام الأدبي والثقافي بالقضية الفلسطينية، التي تجسدت كرمز للنضال والعدالة والحرية في وجدان الشعراء الجزائريين، فنجحوا في التعبير عن التضامن الإنساني العميق مع الشعب الفلسطيني، كما أظهروا القوة المستمدة من الكلمة لتصبح أداة نضالية توازي الرصاصة.

- إنّ "طوفان الأقصى" في الشعر الجزائري المعاصر لم يكن مجرد رد فعل عابر، بل هو تعبير عن وعي عميق بوحدة المصير، مما يجعله جزءاً لا يتجزأ من مسيرة الأدب المقاوم الذي يرفض الظلم ويصر على مواصلة النضال حتى تحقيق الحرية.

- أثبت الشعر الجزائري المعاصر عبر "طوفان أقصى" أنه لا يزال صوتاً حياً ينبض بقضايا الأمة، ووسيلة فنية لتخليد الذاكرة الجماعية ونقلها إلى الأجيال القادمة بكل ما من شأنه إثارة الوجدان وتحريك الضمير.

- أظهر الشعر الجزائري المعاصر قدرة فائقة على توظيف اللغة الشعرية الملتزمة، التي تزواج بين البعد الوطني والقومي، فجاءت القصائد كصرخات تدين الصمت الدولي وتنادي بكفّ العدوان الجائر على الشعب الفلسطيني الأعزل وتحرير الأرض المغتصبة.

المراجع

- 1- حسين أبو النجا. اليهودي في الرواية الفلسطينية. دار كنعان، الجزائر، ط1، 2018، ص 07.
- 2- عبد الله ركيبي. الشعر الديني الجزائري الحديث، الشعر الديني الإصلاحي، ج 2. دار الكتاب العربي للنشر و الطباعة و التوزيع، الجزائر، 2009، ص 129.
- 3- صالح خرفي. الشعر الجزائري الحديث. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 258.

- 4- محمد العيد آل خليفة. الديوان. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992، ص 314.
- 5- أحمد سحنون. الديوان. دار الحبر، الجزائر، 2007، ص 120.
- 6- المصدر السابق. ص 334.
- 7- المصدر نفسه. ص 330.
- مفدي زكريا. اللّهب المقدّس. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007، ص 279.⁸
- *- صلاح الدين باوية، شاعر جزائري معاصر، باحث أكاديمي و أستاذ دائم بجامعة محمد الصديق بن يحي بجيجل، من مواليد 1968 بالمغرب ولاية وادي سوف، من أهم مؤلفاته: العاشق الكبير 1999، أكبر معجزة أوبرات شعرية تاريخية للأطفال 2008، إلياذة وادي ريغ 2009، من مذكرات حاكم عربي في طريق التوبة 2012، صباح الخير يا عرب، اعترافات في زمن الردة، قصائد الحب والغضب، سمراء آخر العاشقين العرب، جزائر المجد في قلبي و ذاكرتي قصائد و أناشيد للأطفال"، وله أيضا في الشعر الشعبي مجموعة أهازيج شعبية (رحماني عبد القادر. قصيدة : من مذكرات حاكم عربي في طريق التوبة لصلاح الدين باوية – دراسة في آليات البنية العروضية – رصد وتحليل. مجلة إشكالات في اللغة و الأدب، جامعة تامنغست، الجزائر، مج 10، ع 01، 2021، ص 1226-1227).
- 9- وردة أيوب عزيزي. فلسطين أمّ القضايا في الأدب الجزائري. <https://akhbarelwatane.dz>. (2025/03/19 سا 22:00)
- *- عبد الملك بومنجل أستاذ التعليم العالي في النقد الأدبي بجامعة سطيف2 (الجزائر)، شاعر وناقد، صدر له في الشعر: لك القلب أيتها السنبلة (2000)، حديث الجرح والكبرياء، الدك(تا)تور (2009)، أنت أنت الوطن، عناقيد الغضب (2015)، غربة الشمس. فليرحل الظلام(2020)، تلك الدروب (2024). أما في النقد والفكر صدر خمسة عشر مؤلفا منها: جدل الثابت والمتغير في النقد العربي الحديث (2010)، مماطلة المعنى في شعر المتنبي (2010)، الموازنة بين الجزائريين: مفدي زكريا ومصطفى الغماري (2015)، الإبداع في مواجهة الاتباع (2017)، حوار الحضارات تعارف وتثاقف (2019). (عبد الملك بومنجل. غربة الشمس. دار الأوطان للثقافة و الإبداع، الجزائر، 2020، الغلاف الخارجي)
- 10- عبد الملك بومنجل. تلك الدروب. دار خيال للنشر و الترجمة، برج بوعرييج، الجزائر، 2024، ص 57.
- *- بوزيد بن ادريس شاعر من ولاية سطيف، أستاذ التعليم الثانوي (أدب عربي)، بدأ نظم الشعر في سن مبكرة، نشر العديد من قصائده في الصحف الجزائرية منها الشعب، الجمهورية، المساء، الفجر ... من أعماله المنشورة " جراح و أفاح " 2010 و " حياض النور " 2024. <https://poetsgate.com/poet.php?pt=5452>. (2025/03/27 سا 23:00)
- 11- بوزيد بن ادريس. حياض النور. منشورات جمعية النبراس الثقافي لبلدية سطيف، الجزائر، 2024، ص 22.
- *- عائشة جلاب شاعرة وروائية من ولاية أم البواقي، نالت العديد من الجوائز الولائية والوطنية و الدولية منها جائزة المسابقة العربية للشعر العمودي بالمنستير التونسية 2018، جائزة اتحاد الأدباء الدولي بالعراق 2018، جائزة شاعر الشرق السيد زكريا بالقاهرة 2019، صدر لها العديد من الدواوين منها: شذرات من ذاتي 2014، مشاعل جزائرية 2018، سفر في عيون بربرية 2019، نون النشوة 2019، تاء التأنيث (ديوان) تحت الطبع، دروب الخيزران (رواية) تحت الطبع. (الحبيب عبيدات. مظاهر تشكيل السيرة الذاتية في الشعر النسوي " شذرات من ذاتي لعائشة جلاب أنموذجا" مجلة المدونة، جامعة البليلة 2، الجزائر، مج 08، ع 03، 2021، ص 2476).
- 12- وردة أيوب عزيزي. فلسطين أمّ القضايا في الأدب الجزائري.
- 13- المصدر السابق. ص 59.
- 14- المرجع السابق.
- *- محمد شايطة من مواليد 1964 بقسنطينة بدأ الكتابة مطلع الثمانينيات، من أعماله الشعرية : احتجاجات عاشق ثائر 1991، تجليات في زمن المنفى 2007، بشائر الخلود(مجموعة قصائد وأناشيد للأطفال والشباب 2009، أهازيج الزمن الآتي 2019. (محمد فوزيل. التجربة الشعرية الرقمية التفاعلية (من 2010م إلى 2022م) للشاعر الجزائري محمد شايطة قراءة في نماذج شعرية. مجلة الكلم، جامعة وهران 1، الجزائر، مج 08، ع 01، 2023، ص 106-107)
- 15- وردة أيوب عزيزي. فلسطين أمّ القضايا في الأدب الجزائري.
- *إبراهيم قار علي شاعر و صحفي، متحصل على شهادة ليسانس في الإعلام والاتصال وشهادة الماجستير في التاريخ فرع تاريخ الثورة، من أبرز أعماله "الفية الجزائر" 2023 .

(2025/03/26 سا 22:30) https://almoukhbir.blogspot.com/2009/05/blog-post_3203.html

16- حسان مرابط. إبراهيم قار علي.. شاعرٌ جزائري طوّع القصيدة لنصرة فلسطين.
<https://ultraalgeria.ultrasawt.com> (2025/03/24 سا 23:00)

17 - المرجع نفسه.

18 - المرجع نفسه.

19 - المرجع نفسه.

20- المرجع نفسه.

21 - بوزيد بن دريس. حياض النور. ص 22.

22- عبد الملك بومنجل. تلك الدروب. ص 63.

23 - المصدر السابق. ص 38-39.